

حداثات إسلامية

ماهر الشريف وسابرينا مرفان (إشراف)

دمشق: المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، 2006. 328 صفحة
(بالعربية والفرنسية).

لم يظهر في العالم العربي، على مستوى الفكر الديني، تيار إصلاحي جذري وواضح المعالم؛ لقد كان هناك دائماً إصلاحيون أكثر، لكن لم يتمكن هؤلاء من تأسيس تيار إصلاحي متين. ودائماً كان ثمة رجال دين فائضون جداً عن حاجة المجتمع إليهم، ومع ذلك قلما ظهر فكر ديني مطابق للوعي السائد في زمانهم. وفي الذكرى المئوية لوفاة محمد عبده تبارى كثيرون في امتداح محمد عبده كأبرز مفكر إصلاحي في بدايات القرن العشرين الذي اقترن اسمه باثنين من أشهر أعلام تلك الفترة هما: جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا. وفي ما يتجاوز الكلام التبجيلي على دور محمد عبده وأثره، فإنه، في ميدان الإصلاح الديني، ليس أكثر من فقيه إصلاحي، أو صاحب فتاوى جريئة بمعايير عصرها. وكفقيه نقدي انصبت مجادلاته على شيوخ الأزهر وحدهم تقريباً. ومع أن لغة مساجلاته ومجادلاته كانت قاسية وجارحة جداً، إلا أنه، في المضمون، ظل أقل جرأة من شبلي الشميل على سبيل المثال. ومهما يكن الأمر، فهذا هو محمد عبده، بعد مئة عام على وفاته، ما زال يثير شهوة الكلام واستعادة أفكاره نقدياً. وفي هذا السياق نظم المعهد الفرنسي للشرق الأدنى ندوة دولية في حلب في 9/11/2005 عن محمد عبده وأعماله ساهم فيها عدد من الباحثين هم: علاء الدين الزعتري وأحمد برقواوي واحميدة النيفر وعبد الرحمن الحاج ورضوان زيادة وأحمد محمد سالم وعبد الجبار الرفاعي وعبد الرزاق عيد ويوسف سلامة وماهر الشريف ونصر حامد أبو زيد وعبد المجيد الشرفي وبيبار - جان لويزارد وديالا حمزة وكاترين ماير - جاؤون وكيس إيزاريللي وعبد فيلالتي - أنصاري. وقد أشرف على تحرير الأبحاث التي قدمها المشاركون كل من ماهر الشريف وسابرينا مرفان، وصدرت كلها في كتاب بالعنوان المذكور أعلاه، أي "حداثات إسلامية".

حاولت هذه الأبحاث أن تقدم جهداً معرفياً في القراءة المعاصرة لفكرة الإصلاح الديني التي كان محمد عبده من أبرز أعلامها. وفي هذا المجال رأى أحمد برقواوي أن محمد عبده، وهو الشيخ المعمم، كان علمانياً حينما دعا إلى فصل الدين عن الدولة، وإلى انتخاب الحاكم من الأمة، وقيام برلمان يسن القوانين، وإلى الفصل بين السلطات، والمساواة بين الناس بمعزل عن الدين. بينما وجد عبد الرحمن الحاج مشكلة حقيقية في فهم خطاب الإصلاح الديني إذا تمت قراءته في زمن مختلف، وفرق بين فكرة الإصلاح التي تبناها مفكرون مجددون، وبين فكرة الصلاحية التي تلائم أي زمان ومكان. أما عبد الجبار الرفاعي فلفت إلى الفتاوى الجريئة لمحمد عبده، مثل جواز استيفاء الفائدة وجواز أكل ذبائح أهل الكتاب، وإلى تأويله الجن في القرآن على أنه الميكروبات، وهذه نزعة داروينية تقترب من العلم واكتشافاته من غير أن تدير ظهرها للنص الديني. ويقارن ماهر الشريف محمد عبده بالشيخ عبد الله عزام في باب الجهاد، فيرى أن الجهاد عند محمد عبده يتسع كثيراً ليصل إلى مفهوم الجهاد الأكبر، أي جهاد النفس. وهذا ما تميزت به الإصلاحية الإسلامية قياساً على الإسلام السياسي المعاصر الذي ضيق فكرة الجهاد إلى حد اعتبارها مجرد وسيلة لقلب النظم السياسية وإقامة حكم إسلامي بموجب الشريعة القرآنية. وعلى هذا الغرار تواصلت أبحاث هذه الندوة لتشكّل في مجموعها كتاباً مهماً لمن يرغب في رصد بعض الاتجاهات المعاصرة التي تحاول اليوم استعادة فكر النهضة العربية وأفكار الإصلاح الديني كما ظهرت على أيدي نخبة من مفكري نهاية القرن التاسع عشر أمثال عبد الرحمن الكواكبي ومالك بن نبي وخير الدين التونسي وغيرهم.

ص. أ. ف.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx